الخطاب

لنزار قباني

أوقفوني ..
وأنا أضحك كالمجنون وحدي
من خطاب كان يلقيه أمير المؤمنين
كلفتني ضحكتي عشر سنين
سألوني ، وانا في غرفة التحقيق ، عمّن حرضوني
فضحكت ..
وعن المال ، وعمن موّلوني
فضحكت ..
كتبوا كل اجاباتي .. ولم يستجوبوني
قال عني المدعي العام ، وقال الجند حين اعتقلوني
انني ضد الحكومه ..
لم أكن أعرف ان الضحك يحتاج لترخيص الحكومه
ورسوم .. وطوابع
لم اكن اعرف شيئا ..
عن غسيل المخ ، أو فرم الاصابع
في بلادي .. ممكن ان يكتب الانسان ضد الله .. لا ضد الحكومه
فاعذروني ، أيها السادة ، ان كنت ضحكت
كان في ودّي ان أبكي ..
ولكني ضحكت ..

★ ★

كنت بعد الظهر في المقهى .. وكان البهلوان
يلبس الطرطور بالراس .. ويلقي كل (مايطلبه المستمعون)
عن حزيران .. الذي صارمع الايام (مايطلبه المستمعون)
واحتفالا مثل عيد الفطر والاضحى .. أراجيح ..
وكعكا .. وفطائر
وزيارات مقابر ..
كنت أسترجع أفكاري ، وكان المخبرون
كالجراثيم ، على كل الفناجين .. وفي كل الصحون
كنت أصغي كالوف البسطاء الطيبين
لكلام البهلوان
وهو يحكي .. ثم يحكي .. ثم يحكي ..
مثل صندوق العجائب
وتذكرت ليالي رمضان
وأراجوز الذي كان له الف لسان ولسان
وتذكرت فلسطين التي صارت حقيبه
ما لها في الارض صاحب
كان في حنجرتي ملح ، وحزني كان في حجم الكواكب
فاعذروني ، أيها السادة ، ان حطمت صندوق العجائب
وتقيأت على وجه أمير المؤمنين
وكبير الياورأن
واسترحت ..
كان في ودّي ان أبكي ..
ولكني ضحكت ..

★ ★

نشروا في صحف اليوم تصاويري .. على أول صفحه
واعترافاتي على اول صفحه ..
فضحكت ..

قدموني للاذاعات طعاما ، ولاسنان الصحافه
جعلوني – دون أن أدري – خرافه
ربطوني بالسفارات .. وأحلاف الاجانب
فضحكت ..
انني لم أشتغل من قبل قوادا، ولا كنت حصانا للاجانب
أنا عبد من عباد الله مستور، ومغمور، ومحدود المواهب
أسمع الاخبار كالناس ، وأستقبل مأمور الضرائب
زوجتي طيبة القلب ، وعندي ولدان
وأبي .. حارب ضد الترك في الشام ومات
أنا لا أفهم في الصرف ، وفي النحو ، وفي علم الكلام
غير أني لم أعد افهم ، من بعد حزيران ، الكلام
لم أعد أهضم حرفا من اكاذيب امير المؤمنين
صارت الالفاظ مطّاطا ..
وصارت لغة الحكام صمغا وعجين ..
خدّروني بملايين الشعارات .. فنمت
وأروني القدس في الحلم .. ولم ..
أجد القدس .. ولا أحجارها .. حين استفقت
فاعذروني أيها السادة ان كنت ضحكت ..
كان في ودّي أن أبكي ..
ولكني ضحكت ..

* *

كنت في المخفر مكسورا كبللور كنيسه ..
نافخا (سورة ياسين) بوجه القاتلين
لم أكن أملك الا الصبر .. والله يحب الصابرين
وجراحي كبساتين أريحا
يمطر الياقوت منها ، ويفوح الياسمين
وفلسطين على الارض حمامه
سقطت تحت نعال المخبرين
كنت وحدي ..
لم يزرني احد في السجن .. الا
جبل الكرمل ، والبحر ، وشمس الناصره
كنت وحدي ..
وملوك الشرق كانوا جثثا .. فوق مياه الذاكره
كنت مجروحا، ومطروحا على وجهي، كأكياس الطحين
أيها السادة : لا تندهشوا ..
كلنا في نظر الحاكم أكياس طحين
كلنا .. بعد حزيران خراف ..
نتسلى بحشيش الصبر ، والله يحب الصابرين
فأطال الله في عمر أمير المؤمنين
نائب الله على الارض ..
كبير العادلين ...

* *

أيها السادة اني وارث الأرض الخراب
كلما جئت الى باب الخليفه
سائلا عن شرم الشيخ ، وعن حيفا ، ورام الله ،
والجولان ...
اهداني خطاب ..
كلما كلمته – جل جلاله –
عن حزيران الذي صار حشيشا نتعاطاه صباحا ومساء
واحتفالا مثل عيد الفطر ، والاضحى ، وذكرى كربلاء
ركب السيارة المكشوفة السقف ..
وغطى صدره بالاوسمه ..
ورشاني بخطاب
كلما ناديته :
يا أمير البر ، والبحر ، ويا عالي الجناب ..
سيف اسرائيل في رقبتنا ..
سيف اسرا ...
سيف اس ...
ركب السيارة المكشوفة السقف .. الى دار الاذاعه
ورشاني بخطاب
ورماني بين اسنان الجواسيس ، وأنياب الكلاب
فاعذروني ايها السادة ان كنت كفرت
وصفوا لي صبر أيوب دواء .. فشربت
أطعموني ورق النشاف ليلا ونهارا فأكلت
ادخلوني لفلسطين على انغام (ما يطلبه المستمعون)
ضيّعوني في دهاليز الجنون
فاعذروني – مرة اخرى – اذا كنت ضحكت
كان في ودّي أن أبكي ..
ولكني ضحكت ..

نزار قباني